

القرآن الكريم أساس الوحدة الإسلامية

القرآن الكريم أساس الوحدة الإسلامية

م.م. أحمد جاسم ثاني

جامعة البصرة/ كلية التربية- القرنة

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وموحد الأمة بالكتاب المبين، محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ...

قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء/92).

وقال رسول الله ﷺ: <إذا ألبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفق، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل ... وهو الفصل ليس بالهزل>[1].

ويُعد القرآن الكريم مرجعاً لوحدة المسلمين، ومن أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها التقريب بينهم، فالمسلمون متفقون نظرياً على هذا المرجع، ولكنهم لا يلتزمون به عملياً أحياناً، فهم يتفقون جميعاً على هذا الكتاب الموجود الآن بين المسلمين ويعتبرونه وحياً نازلاً على الرسول الكريم | بنصّه دون زيادة أو نقصان [5]، فالاتفاق على هذه المرجعية نظرياً بين المسلمين يستدعي الاتفاق عليها عملياً، وعندما يختلف المسلمون في رأي من الآراء، فعليهم الرجوع إلى المتفق عليه بينهم دون أن يتخذوا موقفاً تفسيريّاً مسبقاً يناصر رأي هذا المذهب أو ذلك [6].

والوحدة الإسلامية لا تعني ترجيح أحد المذاهب على الآخر أو حذف المفترقات وإبقاء المشتركة بين المذاهب، لينشأ من ذلك مذهب جديد يختلف عن الجميع، بل إن الوحدة الإسلامية تعني وقوف المسلمين صفّاً واحداً بوجه تخرصات الأعداء ضد الإسلام والمسلمين على الرغم مما بينهم من الاختلاف في المسائل الفرعية [7].

إن القرآن الكريم يوحد المسلمين في شكله ومضمونه، وفي فهمه وتفسيره، وفي الهدف من نزوله وغيرها من النقاط التفصيلية. أما من حيث الشكل فالمسلمون جميعاً متفقون على هذا الكتاب الذي بين الدفتين، ابتداءً من سورة الحمد وانتهاءً بسورة الناس بلا زيادة ولا نقصان، وبالترتيب المتعارف عليه بين المسلمين، وبعدد السور المعروف (114 سورة)، وبعدد الآيات المعروفة لكل سورة من سورهِ المباركات. وأما من حيث المضمون فإن القرآن الكريم يحث على الوحدة الإسلامية ووحدة الأمة في كثير من المواقع، وإذا ما أجرينا استقراءً لآيات القرآن الكريم يتضح لنا ذلك جلياً، قال تعالى:

نَمِمْ بِهِ يَدَايَ نِيَّابِئَامٍ لَّالِقَادِمُ رَقَّحَالِ بِبَابِ تَكْوَالِ كَيْلِ لِيَا نَزْأَوِ
الْكِرْتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَايِهِ فَادُّكُمْ بِيَدِنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَّيْبِلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى مَرَّجِعِكُمْ جَمِيعًا فَيُنزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ 0 (المائدة/48).

والوحدة الإسلامية من العناوين الرئيسة التي نادى بها الإسلام وثبتتها ومجدها، بل من [8] على المسلمين أن وحدهم بعد أن كانوا أشتاتاً، وألّف بين قلوبهم بعد أن كانوا أعداءً [8]، وحذّرهم من عقوبة التفرقة والاختلاف، قال تعالى:

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتُمْ تَلَاوَاهِ تَقْتَرِّقُ هَالَلُ الْوَاقِعَاتِ وَأَنْذَامِ يَنْذُرُ الْإِلَهِيَّ الْأَلِيَّ
 وَأَنْتُمْ مَسْلُومُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا
 وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
 فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
 فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ...
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرُّوا فَأَوْخَتْ لِقَابُهُمْ جَاءَهُمُ الْيَسِيرَاتُ
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (آل عمران/105-102).

فقد تناول القرآن موضوع الوحدة والاختلاف بشكل واسع، وتناول أسباب الاختلاف وعوامله، وقدّم
 العلاج له، كما تناول موضوع الوحدة وأسسها، والطرق والأساليب التي يمكن في ضوئها الوصول إلى الوحدة
 والاتفاق[9].

ومن أبرز المحطات القرآنية التي تجمع المسلمين، وتعزز وحدتهم، ما يأتي:

أولاً - وحي القرآن وتنزيله:

الوحي هو <مصطلح قرآني من أعرق وأهم المصطلحات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة، ويشكل
 الإيمان به القاعدة الأساسية للإيمان بالأنبياء والرسول>[10].

يرى الباحثون في علوم القرآن من المسلمين أن القرآن الكريم نزل بوحي من الله تعالى على نبيه
 محمداً، وليس للنبي دخل في ذلك[11]، فهو كما قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ
 إِلَّا نَسْوَةٌ يُلْوَىٰ} (النجم/4-3)؛ لذلك تكررت عبارة "قل" أكثر من ثلاث مئة مرة في القرآن، ليتأكد
 للناس أن رسول الله لا دخل له في الوحي، فلا يصوغه بلفظه، ولا يلقيه بكلامه، وإنما يلقي إليه الخطاب
 إلقاءً، فهو مخاطب لا متكلم[12].

وأوضح برهان على أن القرآن الذي بين يدينا اليوم هو القرآن نفسه الذي نزل على النبي، وأنه
 ليس فيه أي تغيير أو تحريف، هو أن الأوصاف والمميزات التي وصف بها القرآن المجيد نفسه ما زالت حتى
 الآن باقية وأنه كما كان[13].

كما يرون أن نزوله بدأ في ليلة القدر، {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر/1)،
 ثم استمر منجماً على مدى ثلاثة وعشرين عاماً على الأصح[14].

ثانياً - فهم القرآن وتفسيره:

ويُراد من فهم القرآن: <العلم بمعاني آيات القرآن الكريم، ومقاصده وأغراضه، وما يتعلق بالآيات الكريمة من أهداف> [15].

وقد حظيت مسألة فهم القرآن بعناية المفسرين والباحثين في الدراسات القرآنية على اختلاف توجهاتهم الفكرية والعقائدية، ومنذ الصدر الأول للإسلام وإلى يومنا هذا، فقد كان رسول الله ﷺ المفسر الأول للقرآن الكريم، ومن بعده أهل بيته [16].

إن معرفة الهدف من نزول القرآن الكريم تعيننا على فهم النص القرآني؛ لأنه يُلقى بظلاله على المعنى القرآني، وتُعد هذه المعرفة إحدى القرائن العامة المنفصلة التي تكتنف النص، وتؤدي إلى تفاعل المسلمين مع القرآن وعنايتهم به، وذلك بحفظ نصه وسلامة تركيبه وفهم مضمونه والتعرُّف على هديه وتلاوته [17].

والمسلمون يتفقون في فهم الهدف العام لنزول القرآن، فالقرآن نزل من أجل هدف رئيس ألا وهو الهداية والتركية والتغيير، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ذَلِكِ الْكِتَابُ لِرَبِّ رَبِّبٍ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ 0 (البقرة/2)، وَنُنزِّلُ لِّمَن يَشَاءُ مِّنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْعَالَمِينَ 0 (الإسراء/82). وأما دون ذلك من أهداف ثانوية أخرى فهي تصب في خدمة الهدف المركزي [18]، فهم يجمعون على فهم هذا المحور الأساس وتفسيره.

ثالثاً - إعجاز القرآن:

كان الأنبياء في الأديان السابقة يأتون بمعجزات تتناسب مع زمانهم، كما هو الحال في معجزات إبراهيم وموسى وعيسى، ولكن الأمر المسلم به هو أن معجزات هؤلاء الأنبياء كانت تختص بزمانهم ولا تتعدى إلى أزمنة أخرى، وأما معجزة دين الإسلام الذي بدأ ببعثة النبي محمداً فقد كانت من نوع آخر، فمعجزته خالدة منذ أن بدأت الرسالة وحتى القيامة، وتلك المعجزة ما هي إلا معجزة القرآن الكريم [19].

وقد اتفق جميع علماء المسلمين على أن القرآن الكريم هو كتاب معجز، وقد تحدى الله تعالى العرب بأن يأتوا بمثله أو عشرة سور أو سورة واحدة وذلك بنص القرآن نفسه، قال تعالى: {أَمْ يَحْسُبُونَ أَن نَّعْزِلَهُمْ بِأَمْرٍ إِذْ يَنْزِلُ سَآءَ مَا جَاءَ بِالسَّاعَةِ وَالسَّاعَةُ مَوَدَّةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَقَاتُ لِلرَّحِيمِينَ} (الطور/33-34)، إلا أنهم لم يتمكنوا من ذلك، فعلماء المسلمين مجمعون على إعجاز القرآن، وإن تعددت

وجهات نظرهم في هذا الإعجاز، فمنهم من يرى أنه معجز بالصرفة، ومنهم من يرى أنه معجز بلغته الخاصة وأدبه الرفيع وبلاغته العالية ونظمه البديع، ومنهم من يذهب إلى إعجازه العلمي... وإلخ.

رابعاً - لغة القرآن:

لاشك أن القرآن الكريم له فضلٌ كبير على سائر الكلام كما قال رسول الله ﷺ: <فَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ الْإِنْسَانِ عَلَى خَلْقِهِ> [20] ، فهو كلام مُقَدَّس؛ لأنه كلام الخالق تبارك وتعالى الذي لا يعلو عليه أي كلام آخر، ولأن اللغة التي جاء بها لغة خاصة احتوت على المفردات والتراكيب والنصوص التي لا يضاهاها أي تعبير آخر مهما بلغت درجته التعبيرية، ويتمثل بانتقاء المفردات والتراكيب، وطبيعة الموقع الذي تحتله كل مفردة في السياق القرآني وفي تركيب الجمل، إذ يتناغم موقع كل مفردة مع المفردات الأخرى من جانب، ومع التراكيب من جانب آخر، وتشكل إيقاعاً خاصاً لا يمكن أن يتحدث عنه الناقد أو الباحث بشكل يستطيع من خلاله أن يوصل جمالية هذه اللغة إلى الأذهان [21].

ومن المعلوم أن الإعجاز اللغوي للقرآن يُعد من أبرز وجوه الإعجاز التي تميّز بها القرآن الكريم، إذ كانت البيئة التي نزل فيها هي بيئة لغوية فصحة، والعرب آنذاك هم أرباب اللغة، ومع ذلك انبهروا حينما سمعوا لغة القرآن، فلغته وجاذبيته العجيبة هي التي جعلت (الوليد بن المغيرة) يقول في القرآن: <واﷻ لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يُعلى> [22].

وقد كثرت الدراسات اللغوية في النص القرآني ابتداءً من زمن النزول على يد الصحابي عبد الله بن عباس وإلى يومنا هذا، فالدراسات اللغوية للنص القرآني لم تكن حكراً على مذهب دون آخر، بل نجد أن جميع مذاهب المسلمين اعتنت بدراسته وابتزاز فنونه اللغوية المختلفة من بلاغة ونظم وصوت ونحو وصرف ودلالة وغيرها من الأبواب اللغوية المختلفة، وكلهم يجمعون على فضله من الناحية اللغوية.

خامساً - حفظ القرآن تلاوته واستماعه:

قال رسول الله ﷺ: <خيركم من تعلّم القرآن وعلمه>.

مصادر البحث

- § القرآن الكريم.
- § الإسلام هو الحل، الشيخ جعفر حسن عتريسي، دار الهادي، بيروت، ط/ 1، 1428 هـ .
- § إعجاز القرآن، د. رضا مؤدب، دار المصطفى العالمية ط/1، 1430 هـ .
- § بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط/2، 1403 هـ .
- § البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ط/30، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي، قم، 2003 م.
- § تلخيص التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد، ط/1، 2011.
- § حوارات، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة دار التبليغ الإسلامي، دائرة الإعلام.
- § دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني، مدينة العلم، ط/1، 1427 هـ .
- § ربع قرن مع العلامة الأميني، حسين الشاكري، ط/1، 1417 هـ .
- § علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ط/6، مجمع الفكر الإسلامي، شريعت - قم، 1425 هـ.
- § الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/4، 1379 هـ .
- § فهم القرآن الكريم، (بحث) سعيد حماد، مجلة مأب، س2، ع7، حزيران/2008.
- § القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الولاة، بيروت، 1431 هـ .
- § القرآن في مدرسة أهل البيت^ع، السيد هاشم الموسوي، مركز الغدير، (د.ت).
- § الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، ط/2، 1388 هـ .

§ مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، 2009م.

§ منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرق، ط/1، مركز الشهيد الصدرين للدراسات والبحوث، قم، 1429 هـ .

§ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط/1، دار الحديث، (د.ت).

§ الوحدة الإسلامية من منظور الثقليين، السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، ط/4، مطبعة العترة الطاهرة، 1429 هـ .

[11]- بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج89، ص17.

[12]- الغدير، الشيخ عبد الحسين الأميني: ج10، ص273.

[13]- ينظر: البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي: 200.

[14]- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ج1، ص61.

[15]- ينظر: حوارات، السيد محمد باقر الحكيم: ج2، ص124.

[16]- ينظر: المصدر نفسه: 125.

[17]- ينظر: ربع قرن مع العلامة الأميني، حسين الشاكري: 274-275.

[18]- ينظر: الإسلام هو الحل، الشيخ جعفر حسن عتريسي: 29.

[19]- ينظر: الوحدة الإسلامية من منظور الثقليين، السيد محمد باقر الحكيم: 41.

[10] - القرآن في مدرسة أهل البيت^{هـ}، السيد هاشم الموسوي: 6.

[11] - ينظر: مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح: 22، وتلخيص التمهيد، الشيخ محمد هادي معرفة: 24.

[12] - ينظر: مباحث في علوم القرآن: 30.

[13] - القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي: 148.

[14] - ينظر: مباحث في علوم القرآن: 50، وتلخيص التمهيد: 72.

[15] - فهم القرآن الكريم، (بحث) سعيد حماد، مجلة مآب، س2، ع7، حزيران/2008: 64.

[16] - ينظر: منهج السيد محمد باقر الصدر في فهم القرآن، أحمد الأزرقى: 183.

[17] - ينظر: علوم القرآن، السيد محمد باقر الصدر: 49 - 50.

[18] - ينظر: المصدر نفسه: 63.

[19] - ينظر: إعجاز القرآن، د. رضا مؤدب: 24-25.

[20] - بحار الانوار: ج89، ص19.

[21] - ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، د. محمود البستاني: 212.

[221]- بحار الأنوار: ج18، ص168.

[231]- ميزان الحكمة، محمد الرشدي: 2521.